مجلة كلية
الدعوة الإسلامية

العدد الثالث عشر
1996

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1425 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1996 أفرنجي

المنهج العلمي عند العرب

أبحاث منقودة

العامل النحوي في ميزان النقد

تراجم من الفكر الغربي

من محتويات المكتبة الإيطالية بكلية الدعوة الإسلامية

الأمجاد العسكرية المسيحية الفرنسية
فرسان رودس ومالطا

قصص وأخبـــار

تأليف: ب. ا. فاروشون، أستاذ التاريخ سابقاً
نشر: دار الفريد مام وأبنائه ـ تـور

الأستاذ: علي جنيش

ينطوي هذا المؤلف على الأبواب الثلاثة الآتية:

الباب الأول: الشرق

أولاً ـ: معلومات عامة ـ بداية مؤسسة الفرسان

ثانياً ـ: فلسطين

ثالثاً ـ: القصة الأولى ـ حصار صور ـ الدفاع عن مرغت ـ فقد عكّا

الباب الثاني: رودس

ـ **فرسان رودس:** أخبار وصور

ـ **القصة الأولى:** الفارس غُوزُون.

ـ **القصة الثانية:** المرشد الكبير برودس: جان دولاستيك

- **القصة الثالثة**: بيار دوبسون والحصار الكبير المضروب على رودس في عهد السلطان محمد الثاني.
- **القصة الرابعة**: 1 ـ عادات رودسية ـ أعمال قرصنة مارسها الفرسان
2 ـ السفينة «مغربان» ـ القائد دوغاستينوه
3 ـ دامرال وفيلييه دوليل دادام ـ معركة إياتزو
- **القصة الخامسة**: سليمان القانوني وفيلييه دوليل دادام ـ فقدان رودس

الباب الثالث: مالطا

- **القصة الأولى**: الاستقرار بمالطا ـ محاولة اقتحام موذون ـ اليونانيون والأتراك
- **القصة الثانية**: بعض القوافل ـ سيمئوني ـ بوتيدجيلا ـ استروتزي ـ روميغاس ـ جان دولا فاليت ـ المرتدون.
- **القصة الثالثة**: الجزائر ـ فيلغانيون ـ بونس دوسافينياك.
- **القصة الرابعة**: المنستير
- **القصة الخامسة**: إفريقيا ـ طرغت ـ المرشد الأكبر لاسانغل
- **القصة السادسة**: المرشد الأكبر أوميد ـ تخريب غوتزو ـ فقدان طرابلس الغرب
- **القصة السابعة**: زوارة: جهود سلاح الفرسان في سبيل إنقاذ أفراده المنهمكين في القتال.
- **القصة الثامنة والأخيرة**: الحصار العظيم المضروب على مالطا.
1 ـ الفارس دولافاليت
2 ـ اللغات الفرنسية في مالطا
3 ـ الاستعدادات ـ الهجوم ـ الفارس دولاريفيار
4 ـ حصن القديس أولم ـ التضحية
5 ـ الحصار الثاني ـ حصن القديس ميكال ـ البرج ـ بطء دون غارثيا.
6 ـ المرشد الأكبر.
7 ـ الخلاص.

هذا ومما جاء في الخاتمة ما يلي:

«إن المشهد الذي كانت عليه مالطا بعد رفع الحصار عنها كان عظيماً - وفي ذات الوقت - مؤلماً فلم يَرَ المرء سوى أناس ذوي وجوه شاحبة ممزقي الثياب يبحث أحدهم عن الآخر يتعانقون فرحين بنجاتهم من الموت على الخرائب والأطلال التي ما زال ينبعث منها دخان الحرائق. كانت المنازل مدمرة رأساً على عقب. من بين ركام أنقاضها المفجع يرى المرء جثثاً ناتئة نتيجة دفنها على عجل كما يرى أحياناً أطرافاً بشرية ممزقة متناثرة.

والعيون التي ظلت جافة طوال مدة الوقوف أمام هذا المشهد المأسوي سرعان ما تفيض بدموع الحزن والمرارة. إن زفرات الموتى كانت ترددها الجدران شبه المتداعية. فكل هذا الجزء من الجزيرة لم يعدو كونه مقبرة».

قام المرشد الأكبر بإحصاء الخسائر: نحو ثلاثمائة فارس من أصل أربعمائة وخمسين على أقل تقدير، وأكثر من ثمانية آلاف وخمسمائة جندي ومدني (من ضمنهم ما لا يقل عن ثلاثمائة امرأة ومائة وسبعين فتى تفوق أعمارهم خمس عشر سنة كانوا متطوعين للقتال) لقوا جميعاً حُتوفهم.

أما بالنسبة للأتراك فتمثلت خسائرهم في فقد أكثر من خمسة وثلاثين ألف رجل، ويرفع المؤرخون (الذين أخذوا بالحسبان أعوانهم المتطوعين أو المكرهين من رواد وأسرى ومحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وغيرهم -) هذا الرقم إلى حوالي مائة ألف.

وقد انخفض عدد الإنكشاريين بمقدار سبعة أو ثمانية وانخفض عدد البابالار بمقدار الثلثين، ومن صفوف الجنود خمسة عشر الألف المستقدمين مرات شتى من سواحل إفريقيا لم يرجع إلا أقل من ألف وخمسمائة رجل.

هذا وعلى قمة جبل شيب الراس سرعان ما وضع المرشد الأكبر لافاليت مخططاً لمدينة جديدة أمر بإنشائها تحت رعايته وأطلق عليها اسم مدينة فاليت. ولما انتشرت في وقت لاحق يميناً وشمالاً خلف المرسى وصارت مدينة واسعة يطوقها سياج من القلاع الحصينة، شكلت العاصمة مالطا على الفور واحداً من أهم المواقع الاستراتيجية الدولية.

ما برح لدينا حقبة مائتين وثلاثين عاماً من الأمجاد تستحق السرد، غير أن المجال لا يسمح بتناولها فتتوقف عند هذا الحد.

هذا ومن جراء تقلب السياسية المسيحية القديمة لم تعد مالطا تنتسب لمؤسسة القديس يوحنا التي لم يعد لها ـ هي الأخرى ـ نشاط ورغم العناية الروحية التي يوليها إياها الكرسي المقدس لم تترك هذه المؤسسة الكاثوليكية المجيدة تسقط ويؤول نجمها إلى الأفول. ولكن حتى في عهد إنكلترا الجاحدة المتكبرة القاسية ما انفكت مدينة المرشدين الكبراء تسمى فاليتا. ويُري الموظفون الإنكليز بكل احترام السائح تلك المواقع التي خلدتها بسالة المقاتلين المجاهدين في سبيل الدين. والمالطيون أنفُسهم بتناقلهم أباً عن جدٍّ روايات الأمجاد السابقة والإدارة الأخوية التي قامت بالجزيرة تحت مؤسسة مستشفى القديس يوحنا ـ قد بقوا كاثوليكيين يتقدون حماساً.

وإذ يذكرون أن المؤسسة كانت ـ فوق كل شيء ـ فرنسية وأن الفرنسيين هم الذين رفعوها إلى قمة مجدها وازدهارها، فإنهم يحبون إقامة الدليل على تفضيلهم لفرنسا حين يجيئون بالآلاف لاجئين تحت رايتها بمدننا في القطرين الجزائري والتونسي. ومن المعلوم بأي حماس استقبلوا ـ منذ بضع سنين ـ الكردينال الشهير لافيجيري الذي عين رئيساً لأساقفة إفريقيا وبالتالي رئيس أسقفية مالطا.

لقد قمنا مراراً وتكراراً بالتنويه عرضاً بالدور الذي كان على فرسان مالطا أداؤه خلال قرنين من الزمن سواء في التصدي المباشر للأتراك والمغاربة، أم ضمن جيوش الدول المسيحية فقلنا: بأي إكليل من الشرف زين أبناء المستشفى الدولة الفرنسية عندما دخلت ـ بداية مع ريشليو ثم مع كولبير ـ حقبة الحروب البحرية العصرية الكبيرة.

إن نكران الجميل حالياً إزاء كل ما يشرف الماضي ـ وهو الثمرة المفجعة لجراثيم الكبرياء والكراهية التي زرعتها الثورة ـ قد أدى إلى أن يُمنع في مدارسنا وكليّاتنا وكتبنا ومحادثاتنا ذكر هذه النماذج النبيلة التي يحيا فيها شرف الأجيال الفرنسية وإيمانها.

لتستطيع أقلام أكثر أهلية وأقل عجلة من قلمنا يوماً أن تسلط عليها الأضواء مجدداً قبل أن يسدل ستار الظلمات رويداً رويداً على أوروبا الهرمة فتغشي جميع الأبصار وتميت الضمائر!.

لتتمكن أنت أيها القارىء الشاب المجهول في يوم من الأيام من الشعور بفؤادك يخفق وبدمك الفرنسي القديم يفور بنبالة عند التفكير فيما استطاع إنجازه ـ متدرعين بإيمان لا يقهر ومسلحين بشجاعتهم الغالية ـ الأسلاف العظام لأجل هذا الوطن الفرنسي هذا الوطن الكاثوليكي الذي يسعى بعض الفرنسيين المنحلين والاستغلاليين ذوي النزعة العالمية إلى إنسائك إياه لكيلا يعطوك عنه، سوى صور مشوهة مضللة باطلة كاذبة كلها شتائم للعلم والحق والتاريخ.

ولكن من العبث أن يحاولوا أن يخمدوا فينا صيحة الدم القديم وأن يطفئوا حمية التضحية ويغمروها بالصوت اللاذع، صوت المصالح المخزية والغرور الدّنيء.

وما دام في فرنسا شباب مؤمن ـ وإن كان قلة قليلة ـ سيظل ثمة أمل كبير في انبعاث المسيحية وفي استئناف زحف بلدان الصليبيين وأقطار الرهبان الفرسان وأمصار المبشرين تحت رعاية العذراء وتحت الشعار الذي رفعه الدبلوماسي بونغار قديماً «أنجز الله مشيئته على أيدي الفرنسيين!!!».